صــلاة لغة حارة أصل المقصود منها هو افهام القـدير ماذا يجب عليه أن يفعل بالـكون . ولان الاصوات ترتفع دفعة واحدة بالالاف من اللهجات يقف حائرا لا يعرف ماذا يجب عليه أن يفعل

مسيح كائن هبط كى يخلص العالم فعجز عن تخليص نفسه

هذا هو مبلغ ماوصلت اليه تعاليم الملحدين فى امريكا . وفى هـذا نزعة خطرة قد تتناول آثارها الـكثير من نظم المدينة الحديثة ان قدر لها الذيوع

# بنديكت سبينوزا

## من أعظم رواد الفـكر الانسانى

## ١٦٣٢ — ١٦٧٧

مولده

في الحادى والعشرين من شهر فبراير المقبل ، يكون قـد مضى على وفاة سبينوزا الفيلسوف العظيم ٢٥١ عاما ، فقد توفى فى مثل هذا اليوم من سـنة ١٦٧٧ ، فيكون قد عاش نحواً من ٤٥ عاما !!!

ولد في امستردام سنة ١٦٣٢ من تاجر ، ( يهودى ) هاجر من جنوب البرتغال فراراً من اضطهاد الكاثوليك لليهود .

واما أمه فقد توفيت ولما يبلغ السادسة من عمره !

العجوز ( القديسية )

ومن الطف مايروى عن أيام طفولته ، ان أباه كلفه يوماً من الايام بان يذهب فى استرداد مبلغ اقترضته منه امرأة عجوز فى « امستردام » ، فذهب (سبينوزا ) اليها ، ولما دخل حجرتها ، وجدها تقرأ «التوراة » ، فاشارت اليه ان يتريث حتى تنتهى من صلاتها وتضرعاتها ، ثم اخذ يذكر ماحدا به الى الميجىء ، فذهبت واحضرت المبلغ وعدته له ، ووضعته على المنضدة وهى تقول :

( هل تكون يوماً رجلا مستقيما كابيك ؟ ! ليباركك الله ويحفظك بقدر

اقتفائك لاثره وخطواته)! ! وبعد أن ختمت دعاءها ، اخذت المبلغ في يدها لتضمه في كيس « الطفل » وهو بعد في «العاشرة» فاعترضها طالبا ان يعد المبلغ « بنفسه » ، فحاولت منعه فلم تفلح ، فوجدها قد انقصت المبلغ قطعتين من الذهب البندقي ، تساوى القطعة منهما ريالين وربع ريال ، ازلقتهما هذه العجوز « القديسة » الى درج من فتحه ضيقة على المنضدة ! ! !

وعاد « سبينوزا » فرحا ، يقص لابيه خبر ضبطه لهذه «الجريمة » !!! ... وخصوصا من « قديسة » لم تفرغ بعد صلاتها « الحارة » ! ! ! ولاشك ان « ثقته » ( بالقديسين والقديسات ) قد « تضاعفت » بعد اكتشافه لهذه الجريمة ! ! !

## (دراسته للآداب العبرية )

وعكف على دراسة الآداب العبرية ، ككل الشباب اليهودى فى ذلك العصر اوكما يقولون ، على زعم ان يكون ( ربياً ) أو حاخاما ! ! ! ولكن قد خاب فألهم فما كاد يبلغ الخامسة عشرة حتى ابتدأ يرتاب ويشك ، ولكنه كان يتظاهر « بارتياحه الكلي » لاجوبة الحاخام على اسئلته ، خشية غضبه ، ويقتصر على تدوينها للانتفاع بها فى الوقت والمكان المناسبين !

## تعمقه فى دراسة الفلسفة

ولم يرتو من « التلمود » وغير التلمود ، فأخذ يكب على دراسة « الفلسفة » وهو حقيقة مدين فى الاكثر « لديكارت » فقد استفاد منه أكبر فائدة ، ومدين للعالم والفيلسوف الكبير (برونو) وكان يعتقد بالوهية القوى والنواميس الطبيعيه فحكمت عليه محكمه التفتيش بالحرق !

## تهمة الهرطقة وحرمانه

وقد كان بين الملتفين من حوله ، شابان يدعيان انهما اخلص المخلصين اليه فالحا عليه ان يصرحهما لهما ببعض آرائه ومعتقداته ، فى الله ، والملائكة والمعجزات ، والخلود ، وا كدا له أشد تأكيد انه مهما بلغت افكاره من التطرف ، فليأمن جانبهما ، فتمنع ، ثم عاد فصرح لهما بما صرح ، فاتهموه بالهرطقه ، وصبوا عليه جامات غضبهم ولعناتهم ، ولقبوه « بامير الملحدين » و شيخ الكافرين

وحكموا عليه بالحرمان من الكنيسة فاصبح لا يعد من « شعب الله المختار » من ٢٧ يوليو سنة ١٦٥٦ ، وهو بعد فى عنفوان شبابه أى في الرابعة و العشرين ! وقد كان الحرمان بداية عظمته ومجده!!! ...

عزوبته

ولم يكن « سبينوزا » من جماعة الزاهدين المتقشفين ولكنه ظل بعيداً عن « منطقة الخطر » فلم يجازف بحياته !! اما لانه قد خشى ان يسيء اليه القدر فيرزقه بامرأة لا يطيب معها العيش ، فيشقى ، واما ان يكون عشقه للفلسفة قد ملك عليه لبه ، وفؤاده ، فلم يعد هناك موضع لامرأة لتحتله « وتعسكر » فيه !!!

بعض صفاته

وقد كان طلق المحيا ، بشوشا ، أمينا ، عفيفا ، رزينا ، محسنا ، صبورا ، ممتلئا حيوية و نشاطا ، وفوق ذلك ، كان نظيفا مرتبا على غير عادة الفلاسفة !!

عاش عيشة البساطة ، والفقر ، وعدم ايثار النفس ، راضيا بدخله الضئيل ، فلم يسمع انه شكى أو تذمر .

« رفضه وظيفه استاذ فى جامعة

وقد عرض عليه أن يكون استاذا للفلسفة فى جامعة هايدلبرج في سنة ١٦٧٣ وان يطلق له أكبر قسط من الحريه في الكلام عن الفلسفة ، ولكن لا يسمح له ان يقاوم المسيحيه ، او يزعزع ثقة الناس الدينيه ، فرأى استحاله قبوله لهذه « الوظيفه » خوفا من أن تعرقله عن مواصلة البحث والدرس كما انه لم يكن قويا ، ولم يكن له سابق اختيار في التدريس .

علم البصريات

وقد بقى راضيا بكسبه من وراء سن العدسات التى تستعمل في الميكروسكوبات والتلسكوبات ، ولولم يكن الموت الاعمى قد عثر به فتعجله قبل اوانه لكان وقف على كثير من اسرار « علم البصريات » اذ كان يخصص لدراسته بضع ساعات كل يوم !

ضعف صحته

وقد ظل عليلا طول حياته ، ومع شدة احتياجه للراحة لم يكن ليشفق

على نفسه !

قيل انه قضى ثلاثه اشهر كاملة لايفارق فيها منزله !! وأنه كان يسهر مكبا على الدرس والتأليف ، على ضوء « القنديل » من العاشرة ليلا حتى الثالثة صباحا!!!

مرضه وموته

فناء طبها ، تحت هذا الحمل الثقيل ، واعتلت صحته واصيب بالسل الرئوى واشتد عليه المرض، فأرسل يوم السبت ٢٠ فبراير سنة ١٦٧٧ يستدعى احداً صدقائه الاطباء من « امستردام » هو الدكتور ميير. وفي يوم الاحد في نحو الساعة الثالثة عصرا اسلم الروح ! ولم يكن بجانب سريره غير صديقه ميير !!

ولكن سبنيوزا حي لن يموت !!!

خالد بكتاباته التي تعد من كنوز الفلسفة الثمينة ومن اعظم ما كتب الكاتبون

مكتبة سبنيوزا

وقد جاهد بعد موته كثير من العلماء في أمستردام ، ليحصلوا على الكتب التي تركها بمكتبته ، ولكنه لم يترك غير ١٦١ كتابا، فتنافسوا فى شرائها تنافسا عظيما ودفعوا فيها اثمانا باهظة جدا

ولم يجدوا بينها مقالته عن ( قوس قزح ) وكان يظن انه رماها فى النار في السنة التي توفي فيها فى ليلة من ليالى العيد

ولكنها ظهرت سنة ١٨٦٠

مؤلفاته الخالدة

لم يظهر لسبينوزا خلال سنى حياته سوى كتابين الاول ترجمة الجزأين الاولين من كتاب ديكارت « مبادىء الفلسفة » أثبت مافيها على الطريقة الهندسية . بمعنى انه وضعه فى اوليات وتعاريف ، وقضايا واستنتاجات ، وقد اقتصر على ماله مساس بالميتا فيزيقا واهمل الباقى ، وأضاف فى ذيل الكتاب بعض أرائه الخاصة في الميتا فيزيقا وقد طبعه سنة ١٦٦٧

وأما كتابه الثانى « مقاله في اللاهوت السياسى » فقد ظهرت سنة ١٦٧٠ وأعيد طبعها فى سنة ١٦٧٣ والطبعة الثانية ادق من الاولى وقد داقم فيها عن الحرية الفكرية ووجوب فصل الكنيسة عن « الدولة »

## الايثيكا

وأما اعظم كتبه فهو « الايثيكا » امتع ما أخرج الفلاسفة فى التيافبزيقا وقد كتبه أيام ان كان يعيش عيشة هادئة فى فورييورج في سنة ١٦٦٣ وهي إحدى ضواحى الهاى على بعد ميلين منها ، ولم ينته منه الاصيف سنة ١٦٦٥ وقدسافرفى نفس هذه السنة الى « امستردام » ليتفق على نشره غيرأنه لماأراد نشره من غير أن يذكر اسمه استحال عليه الامر لان بعض اجزائه كانت قد وصلت الى ايدى الكثيرين فرأى تأجيل طبعه . ثم عاد يفكر فى نشره سنة١٦٧٥ وسافرفعلا الى « امستردام » ولكن انتشرت اشاعة ان « سبينوزا » سينشر كتابا ينكر فيه وجود الله ! ! فقامت قيامة رجال اللاهوت فنحاه جانباثانية ، ولم ينشرالا بعدموته !

## بعض آرائه السياسية

كان يعجب بآراء مكيافلى اعجابا يفوق الوصف فقد كانت الصعوبات التى اعترضت هولندا من سياسة اوربا تشبه مالاقته المدن الايطالية فى القرن الخامس عشر .

فكان يرى معهان المبادىء التى يمكن تطبيقها على « الأحرار » قدلايمكن تطبيقها على « الدول» دائما. وانأهم واجبات الدولة ان تحمي مصالح رعاياها ، وعلى ذلك يستحيل عليها ان ترتبط بمعاهدات تتعارض مع هذه الغاية الرئيسية وهى مصلحة الافراد . وكان يرى « سبينوزا » ان تنازع الدول وبعضها ، امر لا مفر منه اللهم الا اذا تألفت قوة اكبر من اى منها ، وان التحالف الدولى أمر مرغوب فيه كثيرا ، وانه وسيلة لانهاء الحروب وتخفيف وطأتها

ولم ينظر كما نظر غيره الى الدولة State على انها شر لابد منه ولكنه كان يرى انها « ضرورة » لاتتعارض مع العقل ، خلقها البشر ، لاعن طريق « الخوف » ولكن عندما تأكدوا انها ضرورية لاسعادهم وقضاء مصالحهم .

وان الدوله قامت فى الاصل على انضمام الافراد الى بعضهم بمحض ارادتهم فاتحدت قوى الافراد ورأوا ان مصلحتهم تقضى عليهم ان تكون هناك قوة حاكمة عليهم فتنازلوا لها عن حقوقهم الطبيعية .

ولم يصبح للافراد حقوقا الا ماتمنحه لهم الدولة . ولكنه لم يتعمق فى بحث نظرية « العقد الاجتماعي » فاكتفى بسياسة زمانه (العملية ) ولذلك فصل بين (الدولة) (وحاكم ) الدولة . ووضع السيادة في ( الدولة ) لافى ( الحاكم ) .

وقد شدد على وجوب اتحاد الدولة ووحدتها ولكنه كان يرى أن هذه (الوحدة ) هى مجموعة مشيئات الافراد وارادتهم ، لا ارادة فرد واحد .

وهذه الافكار اساس نظرية ( روسو) فى (الارادة العامة ) وقد فصل بين ( الدولة ) ( والحكومة )

ومال الى ناحية ( الجمهورية الاستقراطية ) وابغض الديموقراطيه (المتطرفة) وقد كان يرى استحالة الملكية وسيادة فرد واحد سيادة فعلية مطلقة .

كان حريصا على حفظ حرية الفرد ، وترك الناس أحرارا يعيشون بعقولهم ، وكان يرى أن صون هذه الحرية اهم غرض يجب أن ترمى اليه الدولة ، وعلى ذلك فليست هناك سيادة مطلقة للدولة اذ أنها تقف عند حقوق افرادها الطبيعية

و ( سبينورا ) من أكبر المدافعين عن الحرية الدينية وانصارها وكان يقدر الحرية الفكرية لا لانها حيويه لتقدم الفرد وحفظه هيبته وكرامته فحسب ، بل لانها جوهريه لسلامة « الدوله » ذاتها و سعادتها .

وقد كانت فلسفته الدينيه سببا لبغضه وكراهيته ردحاً من الزمان طويلا ، وبقي موضع سخرية الناس قرنا كاملا حتى كانوا يستهزئون به قائلين « انه لا بد من ان يكون يوم الدينونه متربعا على عرش جهنم ، وقد توج على أهلها ملكا » ، ولكن هذه الآراء قد ذابت تحت نيران الفكر الحديث بعد الصراع الشديد بين رجال الدين و رجال العلم

وبدأ الناس يغيرون رأيهم فيه من سنة ١٧٨٠ ويعدونه من أعظم المفكرين وقادة الفكر البشرى واشرف يهودى ظهر بعد بولس الرسول. وقد طبعت فلسفة القرن التاسع عشر بطابعه ودمغت بفكرته وسيكون لفلسفته شأن عظيم فى المستقبل

وقد أقاموا له تمثالا فى الهاى فى سنة ١٨٨٠ جمعت نفقاته من تلاميذه المعجبين به ايما اعجاب المشتتين فى معظم ممالك العالم . و أما الكوخ الصغير

الذى عاش فيه فقد عملت ( الجمعيه الاسبيوزية ) على ترميمه وجمعت فيه آثاره الخالدة ، وأصبح يسمي اليوم ( متحف سبينورا )

جامعة بيروت كامل صموئيل مسيحه

# فلسفة التاريخ

## — ١ —

### تمهيد تاريخي

كان الغرض الاسمى للمدرسة التى تعتبر ان للتاريخ فلسفة هو تصورها تاريخ البشرية كوحدة كاملة ومظهر نظام او غاية ذات قيمة ذاتية يقرب الوصول اليها متى تفهمنا تسلسل الحوادث كحقيقة كاملة . اى ان نظرية فلسفة التاريخ هى السعى وراء اثبات غاية نستخلصها ونستنتجها من سير الحوادث بقدر مايتاح لعقولنا من الملاحظة والحكم . هذه الغاية متى وضعت نصب أعيننا تقرب حوادث التاريخ من دائرة التحقيق والحكم المنطق وبدونه تظل هذه الحوادث مجموعة مآس ومفاجآت وصور لاطائل تحتها ولامعنى . فلو لم تطو حوادث فلسفة التاريخ مغزى وعبر ، فكف نكيف جهاد الانسانية الشاق ومايطويه من آلام وأشجان وتضحيات قد منها الانسانية على مذبح التقدم الانسانى :

وقد كان فولتير وصديقه فريد ريك الاكبر شغوفين بان يعزوا حوادث البشر الى يد صاحبة الجلالة الصدفة .

ان النظرية الاساسية التى ترتكز عليها فلسفة التاريخ هي الاعتراف بعناية سامية تسوس مقادير البشر وتفسر كفاح الافراد والامم نحو غايات متنافره واقدار متباينة وهذا التناحر هو ماشاد بذكره هيجل ونعته بجوهر العقل او ملكة العقل التى تسخر اهواء البشر وتتلاعب بارادة الافراد كآلة تسخر للوصول الى الاغراض العليا للانسانية ، بحيث تنبت من هذه الفوضى الظاهرة فكرتان النظام والصالح . وهما دعامتا الحرية المنظمة في الدول المتمدنة